إنْجَازِيَّةُ العَدَدِ: مُقاربةٌ تداوليَّةٌ في الخِطابَيْنِ:اللِّسَانيّ والبَصَريّ

د.إبراهيم جابر عليّ

باحث وناقد مصريّ

دكتوراه النقد الأدبيّ- كلية الآداب - جامعة دمياط

ebrahim_gaber_ali@yahoo.com

الاستلام	٢٠٢٣/١/١٢	المراجعة	٢٠٢٣/٣/١٦	النشر	٢٠٢٣/٤/١

الملخص:

تسعى هذه المقاربة إلى تبيان إنجازيَّة العَدَد في الخطابَيْنِ اللِّسانيّ والبَصَريّ على حدٍّ سواءٍ؛وكذا بيان دَوْره في إنتاج الدلالة المرجُوَّة من الخطابِ؛ذلك لأنَّ العدد **أيقونة سيميائية يهدف المبدع من استعمالها إلى تحقيق أقصى طاقات الاختزال والتَّصفية المتَعَمَّدة من التَّرَهُّلاتِ الصِّياغيَّةِ وكِليشِيهاتِ المقدِّمات؛ومن ثمَّ تتحقّق الغايةُ المَرْجُوَّة من المرْسَلة/ الخطاب سواءٌ أكانت نصًّا لغويًّا أو لوحة فنيةً.**

وقد كان مجال عمل هذه المقاربة محورين تطبيقيين يسيرانِ معًا جنْبا إلى جنب،وهما:

١ـ العددُ في الخطاب اللِّسَاني؛الشِّعْريّ والنَّثْريّ.حيثُ يشمل الخطاب الشعريُّ شاعرَيْنِ عراقِيَّيْنِ هما «**بُلَنْد الحَيْدَرِيّ**» (١٩٢٦ ـ ١٩٩٦)،و«**أحمد مطر**» (١٩٥٤ ـ). ويشمل الخطاب النثريُّ أديبَيْنِ فِلَسْطِينِيَّيْنِ؛هما البروفيسور والمنَظّر«**إدوارد سعيد**»(١٩٣٥ـ٢٠٠٢) في رواية **(خارج المكان)** ، والأديب «**مُرِيد البَرْغُوثِيّ**»(١٩٤٤ ـ ٢٠٢١) في رواية **(رأيتُ رام الله)**. وهما سِيرتان ذاتيَّتان.

٢ ـ العددُ في الخطاب البصريّ؛حيث يُمثِّل نَسَقًا أيقونيًّا يتآزرُ مع النَّسَقِ اللِّسَانيّ في إنجاز المرْسَلَة مُهِمَّاتها التواصليَّة. ومن جانب آخر يقف العددُ مُثيرًا إقناعيًّا صامتًا مُختزِلًا مساحاتٍ شاسعةً من التعبير في الخطاب الإشهاري/الإعلان،أو في الخطاب الحِجَاجِي كما في هذه المقاربة التي اتكأت نماذجها التطبيقية على بعض لواحات الرسّام الفِلَسطينيّ ناجي العليّ (١٩٣٧ ـ ١٩٨٧).

تأتي هذه المقاربة في أربع نقاطٍ بحثيَّة:

١ . العددُ بين الإيجاز والإنجاز.

٢ . العددُ والمبالغة.

٣ . العددُ والتاريخ.

٤ . العددُ الحِجَاج.

الكلمات المفتاحية :

التداولية ـ إنجاز العدد ـ الحِجَاج .

Number Performance: A Pragmatic Approach in the Two Discourses: The Linguistic and the Visual

Dr. Ibrahim Jaber Ali

Egyptian researcher and critic

PhD in Literary Criticism.

Email: ebrahim_gaber_ali@yahoo.com

Received	12/1/2023	Revised	16/3/2023	Published	30/4/2023

Abstract:

This is a pragmatic approach, which seeks to study the number in verbal and visual discourse. This is because the number is a semiotic icon that can accomplish the discourse in a very brief language.

The number is also an important means of persuasion that shortens the way for the creator to present his message eloquently and transparently.

This study is considering two forms of communication speeches:

1: speech of both types of linguistic poetry and prose, A poetic discourse Iraqi poets are Ahmed Matar, and Boland Haidari. The speech prose two Palestinian Edward Said and Mourid Barghouti.

II: visual discourse in the paintings of the Palestinian Artist Naji Al-Ali.

This study consists of four research:

1_ number between brevity and achievement.

2_ Number and exaggeration.

3_ Number and date.

4_ Number and Argumentation theory.

Key words:

pragmatism - brevity and achievement of the number - Argumentation theory.

المقدمة:

تسعى التَّداوليَّة **pragmatism** ـ عامَّةً ـ إلى دراسة الآليَّات التي يُنْجِزُ بها الخطابُ مُهمَّتَه التي أُنْشِئَ من أجلِها؛حيثُ إنها«**مذهبٌ لِسَانيٌّ يَدْرُسُ عَلاقةَ النَّشاط اللُّغويّ بمُسْتَعْمِليه،وطرقَ وكيفيَّاتِ استخدام العلامات اللُّغويَّة بنجاحٍ،والسِّياقاتِ والطَّبقاتِ المقاميَّةَ المختلفةَ التي يُنْجَزُ ضِمنَها الخِطابُ،والبحثَ عن العواملِ التي تجعلُ من الخطابِ رسالةً تواصليَّةً واضحةً ناجحةً،والبحثَ في أسباب الفشل في التَّواصُل باللُّغات الطَّبيعيَّةِ**»(١)؛ومن ثم يصير همُّ الدراسة التداوليَّة ـ عامَّةً ـ البحثَ في اللغة بوصفِها ظاهرةً خطابيَّةً وتبليغيَّةً واجتماعيَّةً في الوقت نفسه.

تسعى هذه المقاربة **approach** إلى تبيان ما يمكن أن تنجزه مفردات العدد لغةً **Number vocabulary** ورموزًا حسابيةً **Arithmetic symbols** في تحقيق أكبر طاقة ممكنة من التواصل اللغويّ (=اللسانيّ) أو البَصَريّ (=الأيقونيّ) بين مُرسِل الرسالة ومتلقيها،فيما أطلقنا عليه منهجيًّا **إنجازيَّة العدد Number achievements في الخِطابَيْنِ اللِّسانيّ والبَصَريّ**؛ذلك لأن العدد يمثل أيقونةً لغوية وسيميائية يهدف المبدعُ من استعمالها إلى تحقيق أقصى طاقات الاختزال اللغويّ في الخطاب،وذلك بتصفيته من التَّرَهُّلاتِ الصِّياغيَّةِ والكِليشِيهاتِ والديباجات؛ومن ثمَّ تتحقّق الغايةُ المنجزَةُ من الرسالة المُرْسَلة سواءٌ أكانت نصًّا لغويًّا أو لوحة فنيةً.

مجالُ عمل هذه المقاربة ـ إذن ـ محورانِ تطبيقيَّانِ يسيرانِ معًا جَنْبًا إلى جنبٍ،نُعَرِّفُ بهما،ثم نذكر سبب الجمع بينهما.

يُمثِّل الخطابَ اللسانيَّ عملان:شِّعْريٌّ والنَّثْريٌّ؛فيشمل الخطابُ الشعريُّ شاعرَيْنِ عراقِيَّيْنِ ؛ هما«**بُلَنْد الحَيْدَرِيّ**» (١٩٢٦ ـ ١٩٩٦)،و«**أَحْمَد مَطَر**»(**١٩٥٤ ـ** .....)،وقد تم اختيار هذين الشاعرين لعِلَّةٍ أسلوبية إحصائية؛إذ قد سَجَّلت مفردات العدد في إبداعهما معدلات تكرار مرتفعةً مثَّلَت ظاهرة أسلوبية مائزة،فتم رصدها،وتصنيف سياقاتها؛ لكنَّ هذا الإحصاء ـ على أهميته ـ لا يُعْمَلُ لحسابه ؛ وإنما يعمل لحساب السياق الذي يتصل بمفردة العدد،فما جدوى أن ترصد هذه المفردات في جداول دون أن يكون لهذه الجدولة دلالة ما تظهر موقف الشاعر من عالمه. (٢)

ويشمل الخطابُ النَّثْريُّ أديبَيْنِ فِلَسْطينِيَّيْنِ؛هما البروفيسور والمُنَظِّر«**إدوارد سعيد**» (**١٩٣٥ـ ٢٠٠٢**) في رواية«**خارج المكان**»،والأديب«**مُرِيد البَرْغُوثيّ**»(**١٩٤٤ ـ٢٠٢١**) في رواية «**رأيتُ رام الله**». وقد مَثَّلَ العددُ في خطابِ السِّيرتَيْنِ الذَّاتِيَّتَيْنِ إيقونا سيميائيًّا اختزل كثيرا من الأحداث التاريخية التي ذَكَرَ صَاحِبَا السيرتين الأثرَ النفسيَّ والاجتماعيَّ عليهما.

ويمثل العددُ في الخطاب البَصَرِيّ **Visual discourse** نظامًا أيقونيًّا شديد الحساسية استحوذ على طاقة العين والدماغ؛إذ يتآزرُ مع الخطاب اللسانيّ في إنجاز المُرْسَلَة مُهِمَّاتِها التواصليَّة والإبلاغية ويمثِّل ـ كذلك ـ مثيرًا إقناعيًّا صامتًا يختزلُ مساحاتٍ شاسعةً من مفردات اللغة وتراكيبها وبخاصةٍ في الخطابِ الإشهاريّ/الإعلان **publication discourse**،أو في الخِطاب الحِجَاجِيّ Argument discourse، وعلى هذا النوع الثاني تتَّكِئ المقاربة،مُحدِّدَة نماذجَها التطبيقية في بعض لواحات الرسّام الفِلَسطينيّ «**ناجي العليّ**» (١٩٣٧ ـ ١٩٨٧).

تحمل هذه النماذجُ المُعْتَمَد عليها ـ على الرغم من اختلافها في الأدوات الفنية ـ موقفًا واحدًا من العالم المحيط بها،وهو رفضها لممارسات السلطات في شتى بُلدان الوطن العربيّ؛سواء أكانت سلطات عربية أم سُلطة احتلال،وهذا سبب الجمع بينها على تخوم هذه المقاربة؛إذ قد لوحظ أن هذه النماذج هي الأكثر حضورًا في أفضية سياسية واجتماعية وثقافية مختلفة؛حيث تمتع أصحابها بمواقف ثابتة كلما ارتفع الخط البيانيّ لقمع السلطات المختلفة؛وذلك على النحو الذي يظهر في أطواء هذه المقاربة التي تأتي في أربع نقاطٍ بحثيَّة:

١ . العددُ بين الإيجاز والإنجاز.

٢ . العددُ والمبالغة.

٣ . العددُ والتاريخ.

٤ . العددُ الحِجَاج.

(١)

العددُ بين الإيجاز والإنجاز:

تُقدِّم مِتانُ اللُّغة نقطةَ تماسٍّ بين **الإيجاز والإنجاز**؛وهي السُّرعةُ في الأداءِ اللُّغويّ وعدم تحميله حمولةً زائدة من التعبيرات؛ففي الجذر(**و ج ز**):«**أَوْجَزَ الكَلَامَ:اخْتَصَرَهُ...والوَجْزُ:السَّرِيعُ العَطاءِ، ...ورَجُلٌ وَجْزٌ:سَرِيعُ الحَرَكَةِ**».(٣) وفي الجذر(**ن ج ز**) نقرأ:«**وقال سيبويه:أَبِيعُكَهُ السَّاعةَ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ أي مُعَجَّلًا...،كقولك:يدًا بيدٍ وعاجلًا بعاجلٍ**».(٤)ويأتي في آخر هذا الجذر أنَّ الإيجاز والإنجاز بمعنًى،فنقرأ: «**وقال أبو المِقْدَام السُّلَمِيّ:أَنْجَزَ عَلَيْهِ وأَوْجَزَ عَلَيْهِ وأجهز عَلَيْهِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ**». (٥)

يدخل العددُ بابَ الإيجاز والإنجاز بقوَّة؛حيثُ إنه «**يُستعَاضُ به عن تَكرارِ الأسماء الظاهرة..، فقولُنا: (ثلاثةُ رجالٍ)،يُغْنِي عن قولنا:(رجلٌ ورجلٌ ورجل)**» (٦)؛إذ إنَّ الكلمةَ المفردةَ تُعطي دلالاتٍ عَدديةً كثيرةً مع عدم تَكرارها بما تمثِّلُه من عددٍ.يقول «مطر»:

«**وَطَنِي:عِشْرُونَ جَزَّارًا**

يَسُوقُونَ إِلَىٰ المَسْلَخِ

قُطْعَانَ خِرَافٍ آدَمِيَّةْ».(٧)

إنَّ العدد «**عشرون**» قد أغنى عن ذِكر اسم عشرين دولةً عربيةً برؤسائها وملوكها وأمرائها. وهنا تكمن القوَّةُ الإنجازيَّة الإيجازية في العدد.

ويقول «بلند»:

«**وَالدَّرْبُ لِبَيْتِي أَمْسَىٰ مَقْبَرةً تَمْتَدُّ لِأَلْفَيْ مَقْبَرَهْ**» (٨)

فالعددُ «**أَلْفَيْ**» اسْتُعَيضَ به عن تَكرار كلمة «مقْبَرَة»ألفيْ مرَّة،كما أنه أعطى دلالةً مُفجعةً لكثرة جُثَث القتلى في الطُّرقات إبَّانَ قصف قرى كردستان العراق بالقنابل الكيميائية. فالعددُ «**ألفي**» في هذا السياق رَصَدَ ـ ومن زاوية ضيقة جدًّا ـ الهم القوميّ في قضية الشاعر المصبوغة بدماء الطائفية.

وفي لوحة «**الخلافاتُ العربيَّةُ**»(٩) يُفْسِح ناجي العلي المجال للنَّسَقِ الأيقونيِّ ليرصد المأساة العربية الممتدَّةَ أجيالا:

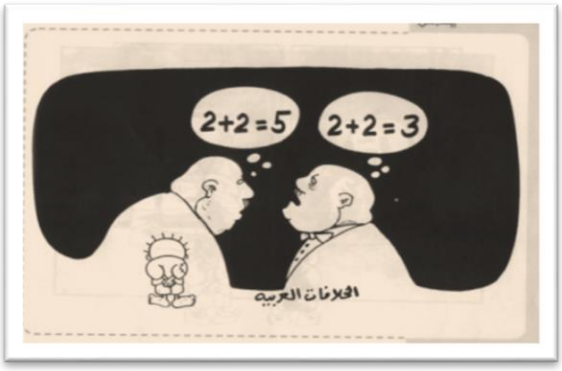

حيث يقوم العددُ باختزالِ مساحات شاسعة من التعبير عن مأساة الخلافات العربية،ويختصر كلَّ الخُطَب الإنشائيَّة في المراسم المختلفة،ويرصد بإنجازٍ بليغٍ مأساةَ الوضعِ الراهن،الذي أدَّى بالأمة العربيَّة إلى ما هي عليه الآن. تمثَّل النَّسَقُ الأيقونيّ في المسألتَيْنِ الحسابِيَّتَيْنِ لكُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ المختلِفَيْنِ،فكلا الطرفين استنتاجه خطأ،وكلاهما على خطإٍ بَيِّنٍ،ومع ذلك يتشبَّثُ برأيه،ويرى أنه الأصلحُ والأصوبُ؛لتستمرَّ بذلك المأساةُ السوداويَّةُ الكُبْرى وهي المتمثِّلة ـ فعليًّا ـ في الخلفيَّةِ السوداءِ الممتدَّة بعرض اللوحة.

وفي السياق نفسه تمثل لوحة « **١٠٤٥٢**» (١٠) طاقة كبيرة من الإيجاز اللغوي والإنجاز البرجماتيّ:

وفيها تُقدِّم اللوحةُ دولةَ لُبنان في اختزال لغويٍّ مثير للدهشة؛إذ يؤكد «**ناجي**» مساحتها الجغرافية فحسب،وهذا أهم ما في القضية؛حيث يحاول المحتلُّ الصهيونيّ ـ القابع في قاع الصورة ـ ابتلاع أجزاءٍ منها؛لكنَّ أصغر رقم فيها وهو (الصفر) يحدد نهاية المحتل،إذ يقف له متحديًا صامدًا محذِّرًا من الاقتراب !

لكن هذا الصفر قد يتحوَّل من المشنقة إلى شيء آخر هَشٍّ؛وذلك عندما تلتبِس الرؤية في ظل الخلافات العربية:

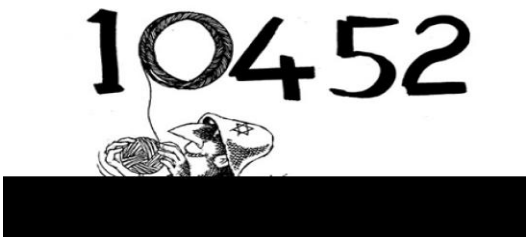

ففي هذه اللوحة (١١) يُحوِّل «**ناجي**» الصفرَ إلى ثُلَّة خَيْط هشة مَسَكَ المحتلُّ بطرفها قاطعًا شوطًا في تجميع جميع خيوطها في يده،ومن ثم يتحوَّل الصفر إلى الثغرة التي من خلالها يعرف المحتل كيف يتسلل من خلالها إلى مراده،فهو وإن ظَلَّ قابعًا في سواد القاع مبتسما بمَكْر؛إلا إنه يدرك جيدًا كيف ـ بالصبر والتخطيط ـ ينفذ إلى ما يريد .

(٢)

العددُ والمبالغة:

يُستخدَمُ العدد في الخطابِ البرجمائيّ؛للتعبير عن المبالغة في الكثرة أو القِلَّة.ففي تعبيراتِنا اليومية نقولُ:«**زُرْتُك خَمْسِينَ مرةً**»،فليس المقصودُ ـ على الأرجح ـ المعدودَ الحسابيَّ المحدَّد على وجه الحقيقة ؛إنَّما المقصودُ كثرة الزيارات بما قد يصل أو لا يصل للخمسين. وتقول المرأةُ شاكيةً من وزجها:«**مَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَيْرًا يَوْمًا وَاحِدًا**».قاصدةً قِلَّة بِرِّه وإحسانه إليها. لكنَّ هذه الدلالةَ على المبالغة في الكثرة أو القِلَّة تُمْتَنع إذا وُجِدَتِ القرينةُ التي تدلُّ على المعدود الحسابيِّ،ومع اختفاء هذه القرينة يظلُّ المراد هو المبالغة في الكثرة أو القلَّة. (١٢)

فعندما يقول«بُلَنْد»:

«**فَهُنَا أَلْفُ قَتِيلٍ**

وَهُنَا

أَلْفُ صَغِيرٍ لَمْ يَنَلْ غَيْرَ سُجُونِ» (١٣)

فليس المرادُ المعدودَ الحسابِيَّ المحدد،وإنَّما المرادُ إظهارُ كثرة القتلى الصِّغار في كردستان العراق،وهو حين يقول:

«**فَأَنَا هُنَا**

فِي السِّجْنِ يَا أُمِّي

أَجُرُّ بَرَاءَتِي فِي أَلْفِ غِلْ».

ندركُ حجم مأساته؛إذ على الرُّغم من براءته إلَّا أنَّهُ لم يزلْ سجينًا مقيَّدًا بالأغلال الكثيرة الَّتي لم يصلْ عددُها ـ في أسوأ الظروف ـ إلى العدد ألف، وإنَّما المرادُ إظهارُ المبالغة في القيْد وشدَّة إحكامه، ممَّا يُعمِّق من المأْساة التي يعانيها،ومِنْ ثَمَّ يظلُّ المتلقِّي مُسْتَحْضِرًا صورةَ ذاك السجين الذي يُجَرْجِر أغلالَه الأَلف. وفي سياقٍ آخرَ يقول «بُلَنْد»:

«وَيَدُقُّ الْبَابُ أَرْبَعَ دَقَّاتٍ

وَيَدُقُّ الْقَلْبُ مِنَ الرَّهْبَةِ آلَافَ الدَّقَّاتْ».

فهو في غربته يخشى كلَّ شيء،يخشى حتى دقات الباب،والتي مهما كانت بسيطة فمعها تزداد دقات قلبه آلاف المرات من الخوف والرهبة؛مما يعكس ميراثا عريقًا من القمع والخوف،والشعور بالاضطراب المستمر من زائري الفجر وزائري كل الأوقات.

ويقول «مطر»:

«المَلايينُ عَلَىٰ الجُوعِ تَنَامْ

وَعَلَىٰ الخَوْفِ تَنَامْ

وَعَلَىٰ الصَّمْتِ تَنَامْ

وَالمَلَايِينُ الَّتِي تُسْرَقُ مِنْ جَيْبِ النِّيَامْ

تَتَهَاوَىٰ فَوْقَهُمْ سَيْلَ بَنَادِقْ

وَمَشَانِقْ

وَقَرَارَاتِ اتِّهَامْ». (١٤)

فالمقصودُ من كلمة«**الملايين**» في المَرَّتين السابقتيْنِ هو التأكيد على الكثرة الكاثرة من أبناء الشعوب العربية القابعين تحت معاول الخوف والصمت وألاعيب الدجل السياسيّ،ومن ثمَّ المُبالغة في ذكر معاناتهم مع حكوماتهم.

تظلُّ دلالةُ المبالغة في الكثرة هي الأرجحُ في كل النصوص السابقة؛إذ ينعدم وجود قرينة أو قاعدة بيانات تدلُّ على العدد الحقيقيِّ.

في لوحة «**التضامنُ العربيُّ**» (١٥) يدلُّ العدد على المبالغة في القِلَّة؛إذ يرصد فراغَ الشِّعارات المرفوعة لنُصْرَة الشَّعب الفِلَسطينيّ من كلِّ معنًى جادٍّ؛فقد تحوَّلت الخطاباتُ العربيَّةُ الرسميَّة إلى نصوصٍ بائسةٍ من عباراتٍ الشَّجْب والإدانة،مُسْتخرَجَة من مخازن العجز والبلادة وقِلَّة الحِيلة.

فثمَّةَ يومٌ واحدٌ فقط للتَّضامُن مع الشَّعب الفلسطينيّ،أمَّا باقي أيَّام السنة(٣٦٤ يومًا)فهي أيامٌ للتآمُر الرَّسْميّ عليه؛إذ تُجَرَّم مقاومتُه وتُسَمَّى إرهابًا،وترتفعُ الحناجرُ المُمْتَلِئَةُ بصديدِ البذاءة والقبحِ القوميّ تدعو للقَرْصَنة على أسلحة مقاومته البدائيَّة الصُّنع،وتُسَمَّى«**فِلَسطينُ**»على شاشات الإعلام (الأراضيَ الفِلَسطينيَّة)،ويُسمَّى المُغتَصبُ الصُّهيونيُّ (الكِيانَ الإسرائيليَّ)،ويُسمَّى غاصِبُ الأرضِ (المستوطنَ)، وتُسَمَّى الانتفاضة (أعمالَ شغب)...إلى آخر هذه القائمة من الكلمات البذيئة التي طعنتْ لغةَ القوميَّة العربيَّة في مقتلٍ.

ومع وجود دلالة العدد على معدود مُحَدَّد يتجه العدد **إلى إنجاز المرسَلة بإيجاز ومجاز بديعين**،ومن ذلك قول«**مريد البرغوثيّ**»:

«**سَيِّدَةٌ تَعْرِفُ كُلَّ مَحَلَّاتِ الْفِضَّةِ فِي بَارِيسَ**

وَتَشْكُو ..

سَيِّدَةٌ تَبْكِي فِي كُلِّ خَمِيسٍ فِي خَمْسِ مَقَابِرْ

وتُكَابِرْ».(١٦)

إن العدد «**خمس**» هنا قد تحدَّد معدُودُه من السياق الاجتماعيّ المرير؛إذ إن المرأة الفِلَسْطِينِيَّة فقدت أباها وأخاها وزوجها وابنيها المُعَبَّر عنهم صياغيًّا بكلمة «**مقابر**» التي تمثل مجازًا مرسلا بديعًا أوجزَ معاناتها المستمرة. وهي ـ على الرغم من ذلك الفقد الكبير ـ لم تزل «**تكابرْ**»؛بينما تشكو الأُخْرياتُ من قلة المعروض في (فاتيرنات) الحياة الدنيا !

(٣)

العددُ والتاريخ:

للعدد قُوَّةٌ إنجازيَّة تُبْرِزُ ما تُضْمِرُه الذات المبدعة وتصطلي بناره؛وذلك حين يرتبطُ العدد بتاريخ حادثةٍ ما.إنَّ الأعداد: **٤٨، و٦٧، و١٩٩٤،و١٩٩٩** تثيرُ الإحساسَ بالمرارة والشعورَ بالانكسار من الهزائم والانتصارات غير المكتملة والمعاهدات المتنازلة عن أجزاءٍ كبيرة من الحقوق فيما مرَّت به الأمَّةُ العربيَّةُ من أزمات وصراعات.ومن ثَمَّ يأتي العدد مُحَمَّلًا بشحنة من الأسى والهمّ

التاريخيّ والوجعِ السِّياسيِّ المُصاحِب له،ففي لوحة«**كامل التُّراب الفِلَسطينيِّ**»(١٧)يعمل العددُ على اختزال كلِّ مراحل القضية الفِلَسطينيَّة؛بِرَدِّها إلى تاريخ نشأتها (١٩٤٨) فلا مفاوضات،ولا تنازلات،ولا حوارات بليدة.

إنَّ العدد(**١٩٤٨**) هو الحدُّ الفاصل والأساس الصَّامد والرَّاسخ أمام حشد من مُسوخ الجالسين على بَيْض التَّحليلات اللُّغويَّة لقرار (٢٤٢) والمتمسِّكين بقرار(٣٣٨) ـ الموجُودَيْنِ أسفل الصورة فعلِيًّا ـ أولئك **المتعبِّدُون بنصوص (تَلْمُود) الاتفاقيَّات البَلِيدة**،حتى ملأتْهم الشُّروخ. إنَّ (٤٨) بشكل القَدَمَيْنِ الرَّاسِختَيْنِ على الأرض تختزلُ بإنجاز بليغ كلَّ الخطابات الدَّاعية للتمسُّك بكامل الحدود وكامل التُّراب الفِلَسطينيّ. كما أنها تقفُ ـ بعناد وسخرية شديدة بلغت حدَّ التبوُّل على المُتَخاذِلين ـ ضدَّ قائمة المفردات البذيئة المُصنَّعة في مصانع القُبْح الرَّسْمِيَّة أمثال: الضِّفَّة الغربيَّة، وقطاع غزَّة،والجِدار الأمنيّ، وتفكيك المستوطنات،ومؤتمر إعادة الإعمار. إن (**٤٨**) بثباتها على أرضية الصُّورة هي ـ إذن ـ الثابتُ الصامد في وجه ألاعيب السَّاسة المحتشدين خلفها وما يمارسونه من فنون (الكذب السِّياسيّ).

أمَّا عن **العدد** (**٦٧**) فقد مثَّل عند «**إدوارد سعيد**» عالَمًا مُضْطَرِبًا مشحونًا بالصِّراعاتِ والتوتراتِ النفسيَّة والانقسامات على مستوى الصَّدقات الشخصية،عالَمًا انهارت فيه كلُّ ملامح براءة الماضي وطهارته ونقائه؛يقول في صدر سيرته الذاتية (خارج المكان):

«**اتَّخَذْتُ قَرَارِي بُعَيْدَ حَرْبِ ١٩٦٧ بِأَنْ أَعُودَ سِيَاسِيًّا إِلَىٰ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كُنْتُ قَدْ أَغْفَلْتُهُ خِلَالَ سَنَوَاتِ التَّعْلِيمِ وَالنُّضْجِ الطَّوِيلِ تِلْكَ... وَلَكِنْ مَا عُدْتُ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَكُونَ عَالَمَ طُفُولَتِي..!**». (١٨)

لقد مثَّل العدد (**٦٧**) لـ«إدوارد»التفكُّكَ الشَّامل،وخسارةَ الخسارات،والبقاءَ حتى نهاية حياته (**خارج المكان**)،يقول:

«**وَحَمَلَ الْعَامُ ١٩٦٧ الْمَزِيدَ مِنَ التَّفَكُّكِ،وَقَدْ بَدَا لِي أَنَّهُ يُجَسِّدُ بِامْتِيَازٍ التَّفَكُّكَ وَيَخْتَزِلُ سَائِرَ الْخَسَائِرِ الْأُخْرَىٰ:الْعَوَالِمَ الْمُتَوَارِيَةَ لِنَشْأَتِي وَصِبَايَ،سَنَوَاتِ دِرَاسَتِي غَيْرَ الْمُسَيَّسَةِ،وَالدِّرَاسَةَ وَالْعِلْمَ الْمُتَحَرِّرَيْنِ افْتِرَاضًا فِي جَامِعَةِ كُولِمبيا،وَسِوَاهَا.لَمْ أَعُدِ الْإِنْسَانُ ذَاتُهُ بَعْدَ الْعَامِ ١٩٦٧ فَقَدْ دَفَعَتْنِي صَدْمَةُ الْحَرْبِ إِلَىٰ نُقْطَةِ الْبِدَايَةِ إِلَىٰ الصِّرَاعِ عَلَىٰ فِلَسْطِينَ...**». (١٩)

يتوازى «**مُرِيدُ البرغوثيّ**» في روايته الذاتيَّة (**رأيت رام الله**) مع هذا القول؛إذ يقول:

«**في ظَهِيرَةِ ذَلِكَ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسِ مِنْ حَزِيرَانَ ١٩٦٧ أَصَابَتْنِي الْغُرْبَةُ**». (٢٠)

لقد أصبح كِلَا الرَّجُلَيْن مختلفًا نفسيًّا عمَّا كان عليه من قبلُ؛فـ«إدوارد» فَقَدَ عالمه البِكْرَ،عالم الطفولة والصِّبا في شوارع القُدْس،وأيقن أنه سيظلُّ (**خارج المكان**) الذي وُلِدَ فيه وتربَّى ونشأ ، و«مريد» أيضًا أصبحَ بلا وطنٍ،وقد دبَّ داءُ الغُرْبَة في أوصاله.لقد ألقى العدد(٦٧) بكآبة ومرارة بِالِغَتَيْنِ على نَفْسَيِ الأديبَيْنِ،وجعلهما مُصَابَيْنِ بالعُقَد النفسيَّة؛يقول«إدوارد»:

«أَذْكُرُ بِانْزِعَاجٍ كَبِيرٍ صَدْمَةَ الْهَزِيمَةِ الْعَرَبِيَّة الشَّامِلَةِ الْأُولَىٰ عَامَ ١٩٦٧،وَكَيْفَ أَنِّي فِي أَوَاخِرِ كَانُونَ الْأَوَّلِ/ دِيسِمْبِرَ مِنْ ذَلِكَ الْعَامِ الْمَشْؤُومِ قُدْتُ سَيَّارَتِي ....كَانَ الثَّلْجُ الْبِكْرُ يُغَطِّي الطَّرِيقَ،وَكَانَتِ السَّمَاءُ دَاكِنَةً،وَالرِّيحُ عَاصِفَةً،وَالطَّقْسُ بِمُجْمَلِهِ مُتجهِّمًا وقَاسِيًا...».(٢١)

فـ«**العام المشؤوم**»ألقى في النَّفْس كُرْهَ الحياة في كَنَف مرارة الهزيمة (الشاملة) وما تفرزه من بذاءاتِ ألاعيب السَّاسة. وقد خرج ما في النفس المنزعجةِ مُنْعَكِسًا على مرآة الواقع،«***..كان الثَّلْجُ البِكْرُ يغطِّي الطريقَ،وكانتِ السَّماءُ داكنةً،والريحُ عاصفةً ، والطَّقسُ بمجمله متجهِّمًا وقَاسِيًا***» .

أما «مريد البرغوثيّ»فيذكرها صراحةً أنه مُعَقَّدٌ نفسيًّا من **العدد (٦٧)**،يقول:

«هَلْ أَنَا مُعَقَّدٌ مِنَ الـ٦٧؟ نَعَمْ. الْكَمَالُ للهِ! هَزِيمَةُ حَزِيرَانَ لَمْ تَنْتَهِ».(٢٢)

ويقول موضِّحًا الأبعادَ الشَّخصيَّة لهذه العُقْدة النفسيَّة:

«وَمِنَ الْخَامِسِ مِنْ حَزِيرَانَ ١٩٦٧ تُرِكْنَا لِنَتَدَبَّرَ أُمُورَ حَيَاتِنَا فِي ظِلِّ الْهَزِيمَةِ الْمُمْتَدَّة.الْهَزِيمَةُ الَّتِي لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ». (٢٣)

لقد كان (٦٧) قاسمةَ الظهر لـ«مريد»؛إذ ألقى في نفسه مرارة الفَقْد على جميع مستوياته: فَقْدِ البيت،فَقْدِ الأهل،فَقْدِ الأصدقاء،ومن ثمَّ فَقْدِ كلِّ عناصر الوطن تاريخًا وجغرافيا،يقول ساخرًا متألِّمًا:

«نَجَحْتُ وتَخَرَّجْتُ.حَصَلْتُ عَلَىٰ لِيسَانِسَ مِنْ قِسْمِ اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ وَآدَابِهَا،وَفَشِلْتُ في العُثُورِ عَلَىٰ جِدَارٍ أُعَلِّقُ عَلَيْهِ شَهَادَتِي». (٢٤)

إلَّا أنَّ أسوأ ما ألقته **الـ٦٧** في نفس«مريد» هو الهزيمة المُستمِرَّة،التي لم تنتهِ بعدُ،وشواهد التاريخ تثبيت ذلك،يقول:

«مُنْذُ الـ١٩٦٧والنَّقْلَةُ الْأَخِيرَةُ فِي الشَّطْرَنْجِ الْعَرَبِيِّ نَقْلَةٌ خَاسِرَةٌ! نَقْلَةٌ إِلَىٰ الْوَرَاءِ.نَقْلَةٌ سَلْبِيَّةٌ تَنْتَكِسُ بِالْمُقَدِّمَاتِ مَهْما كَانَتْ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ إِيجَابِيَّةً. بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْكَرَامَةِ الَّتِي خَاضَهَا الْفِلَسْطِينِيُّون وَالْأُرْدُنِيُّونَ مَعًا ضِدَّ الْعَدُوِّ،ذَهَبْنَا إِلَىٰ أَيْلُولَ ضِدَّ أَنْفُسِنَا. وَبَعْدَ حَرْبِ الـ ٧٣ وَعُبُورِ الْقَنَاةِ،ذَهَبْنَا إِلَىٰ (كَامبْ دِيفِيدْ). وبَعْدَ مُنَاهَضَتِنَا فِي (كَامبْ دِيفِيدْ)،عَرَّبْنَاهَا وَعَمَّمْنَاهَا وَقَبِلْنَا مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْهَا فَائِدَةً وَأَكْثَرُ مِنْهَا فَضِيحَةً.بَعْدَ الاجْتِيَاحِ الإِسْرَائِيلِيِّ لِلْبُنَانَ،خَرَجَتْ مُنَظَّمَةُ التَّحْرِيرِ مِنَ الصُّمُودِ الْبُطُولِيِّ إِلَىٰ الإِقْتِتَالِ وَالاِعْتِدَالِ وَالتَّكَيُّفِ مَعَ شُرُوطِ أَعْدَائِهَا. بَعْدَ الاِنْتِفَاضَةِ الشَّعْبِيَّةِ عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ.ذَهَبْنَا إِلَىٰ (أُوسْلُو).دَائِمًا نَتَكَيَّفُ مَعَ شُرُوطِ الْأَعْدَاءِ. مِنَ الـ١٩٦٧ وَنَحْنُ نَتَأَقْلَمُ وَنَتَكَيَّفُ !»(٢٥)

لقد أُصِيبت الأنظمةُ بداء«**الخوف من النصر**»ـ علىٰ حدِّ تعبير«مريد» (٢٦) ـ فمهما كانت المقدماتُ إيجابيةً مُبشِّرةً بالانتصارات،تصير في النهاية نفقًا مُظلمًا من التحليلات والتفريعات والمعادلات المُستقبليَّة البليدة؛إذ إنَّ النقلةَ الأخيرة دائما خاسرةٌ.فماذا بَقِيَ بعد (أوسلو)١٩٩٣ إلا جريانُ أنهار الدم في شوارع فِلَسطينَ العربية في مناسبات عدَّة؟ يقول«مريد» في أثناء المجازر المُرْتَكَبَة في حرب غزَّةَ في رمضان عام ٢٠١٤:

«**أَصْدِقَائِي الْقَتَلَةَ،يَا مَنْ دَافَعْتُمْ عَنْ (كَامبْ دِيفِيدْ) و(أُوسْلُو)،مَطْلُوبٌ مِنْكُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ الْيَوْمَ ...أَنْ تَخْرَسُوا**». (٢٧)

إن العدد **٦٧** مشحون بكل طاقات الكآبة والانكسار،وهو لا ينفك يلقيها على صدري الأدبيين، حاملا ألوية الإخفاق المستمر، مستهدفا تدمير كل ذكريات الطفولة المتعلقة بالوطن !!

ـ أما **العددُ ١٩٩٤** فيتخذُ عند «مطر» بُعْدًا إشاريًّا إنجازيًّا بليغًا،يقول:

«**تِسْعٌ عَلَىٰ أَعْقَابِ تِسْعٍ تَسْعَىٰ**

إِلَىٰ سَلَامٍ عَادِلٍ

بُورِكَ هَٰذَا الْمَسْعَىٰ

بَيْنَ عَدَالَةِ الْعَصَا

وَبَيْنَ سِلْمِ الْأَفْعَىٰ».(٢٨)

هكذا يجسّد الشاعرُ تاريخَ الاتفاق الثاني بين السّلطة الفِلَسطينيَّة والاحتلال الإسرائيليّ فيما عُرِفَ باسم اتفاقية (غزَّة ـ أريحا) أو (اتِّفاق القاهرة) عام ١٩٩٤؛إذ جعل لكلِّ عدد من هذا التاريخ إشارةً سيميائيَّة رصدَها في مساحة إبداعيَّة ضيقة على النحو التالي:

ـ ارتكز الشاعر على الموروث الشَّعبيّ التَّداوليّ:«**وتسعةٌ..تسعىٰ في الخير**» وجعل من توالي تسعتَيْنِ (٩٩) في قلب التاريخ رصدًا للسَّعْي نحو السَّلام(=الخير)؛إذ قد تمَّ توقيعُ اتفاق (غزَّة ـ أريحا) بعد اتفاق (أوسلو) الأوَّل الذي قد تمَّ تَوْقِيعُه في الثالث عشر (١٣) من سبتمبر/ أيلول عام ١٩٩٣،أي في شهر (٩). وبذا يتحقَّق معنى «**تسعٌ علىٰ أعقاب تِسْعٍ تَسْعَىٰ**».

ـ جعل«مطر»**العدد (١) عصًا**؛ليستدعيَ بذلك خطابا نفعيا متداولا في مجال السياسة،وهو: «**سياسة العَصَا والجزرة**»أو سياسة الثواب والعقاب القائمة على تنفيذها الإدارة الأمريكية في الشرق الأوسط.

ـ أمَّا العددُ (٤) بصورته الثعبانيَّة فقد جعله«مطر»أيقونةً لمكر وخداع الأفعى (الصهيونيَّة) التي تمارِسُ كلَّ أعمال القتل والحرق والقصف والتخريب مدعومةً بالقُوَّةِ العالميَّة علنًا وتواطؤِ بعض الأنظمة العربية المتورطة معها سِرًّا.

وينظر «مطر» للعدد (١٩٩٩) على النحو التالي:

«ثَلَاثَةُ أَشْرَارْ

تَفَرَّدُوا بِوَاحِدٍ

لَيْسَ لَدَيْهِ قُوَّةٌ

وَلَا لَهُ أَنْصَارْ،

ـ صِرْ عَبْدَنَا ... أَوْ إِنَّنَا..

لَكِنَّهُ مَا صَارْ

وَلَمْ تُخِفْهُ مُطْلَقًا

عَوَاقِبُ الْإِنْذَارْ

وَظَلَّ ـ رَغْمَ ضَعْفِهِ ـ

مُنْتَصِبًا أَمَامَهُمْ

كَأَنَّهُ مِسْمَارْ

لَوْ فَكَّرُوا

لَقَرَّرُوا

أَنَّ الَّذِي أَمَامَهُمْ

لَنْ يَقْبَلَ الْإِقْرَارْ

وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي

يَسْهُلُ أَنْ يَنْهَارْ

فَهُوَ ـ بِرَغْمِ ضَعْفِهِ ـ

مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَاقِفٌ

بِمُنْتَهَىٰ الْإِصْرَارْ

يَرْقُبُ يَوْمَ الثَّارْ».(٢٩)

تقف(التِّسْعات)الثلاث (٩٩٩) في العنوانِ مترصدةً الواحد(١)،وقد وصفها «مطر» بالأشرار الذين تكاتفوا على واحد ضعيف في الشَّكْل؛لكنه قويٌّ في القيمة ـ وهذا ما لا يعلمونه ـ فهو الأقدمُ منهم، وعمره يرجع لألف من السنوات الفَتِيَّة؛قضاها صامدًا لم ولن يفقدَ الأملَ في الانتصار على مجموعة التسعات الشريرة.

باستعراض أهمِّ الأحداث التاريخيَّة المتعلِّقة بالصِّراع العربيِّ مع العدُوِّ الإسرائيليّ يتَّضِح الوجه الإنجازيُّ لعنوان القصيدة أكثرَ؛إذ نجد أنَّ العددَ (٩) هو القاسمُ المُشترك في تواريخ المعاهدات والاتفاقيات؛فمعاهدةُ«كامب ديفيد» تمَّت في السابعَ عشرَ من شهر سبتمبر (٩) عام ١٩٧٨، كما تمَّ توقيعُ (أوسلو) في شهر سبتمبر (٩) عام ١٩٩٣،تمَّ بعده وفي فترة (التسعينات) توقيع (اتفاق القاهرة) أو(غزَّة ـ أريحا) عام ١٩٩٤.ومن ثمَّ تتوالى التِّسْعَاتُ الثلاثة على الشعب العربيّ (الواحد)،فهو ـ على الرغم من ضعفه وقِلَّة حِيلته ـ يرفض أن يخضعَ للمحتلِ الغاصب،ولن تخيفَه قراراتُهم،بل سيظلُّ مرتقبًا يوم الثأرِ من كلِّ من خانَه وضيَّع خيراتِه.

وبهذا التأويل يأخذُ العنوانُ بُعْدًا رافضًا لكلِّ الخطاباتِ العربيَّة الرسميَّة المُخْتَبَئةِ في أحراش الشَّجْب والإدانة والضَّعف وقلَّة الحِيلة،والتي صَدَّرَتْ إلى الأَلْسُن عباراتٍ مثل: (**سُلطة رام الله**)، و(**الضِّفَّة الغربيَّة**)،و(**قطاع غزَّة**)،وغير ذلك من الكليشيهات التي أثبت التاريخ أنها ما كانت إلا تفريطًا في حقوق الشعب العربيّ ومكاسبَ عريضةً للمحتل.

❁❁❁

(٤)

العددُ والحِجَاج:

الحِجَاجُ هو **تقديم الحُجَج والأدِلَّة المُؤديَّة إلى نتيجةٍ معيَّنةٍ**،وهو يتمثَّل في إنجاز تَسَلْسُلاتٍ استنتاجِيَّة داخلِ الخِطابِ. وبعبارةٍ أخرى يتمثَّل الحِجاج في **إنجاز متواليات من الأقوالِ،بعضها هو بمثابة الحُجَج اللغويَّة،وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُسْتَنْتَجُ منها**.(٣٠)

ويُعَدُّ الحِجَاجُ أحد أهمّ أركان النظريَّة التداوليَّة ـ إلى جانب نظرية الأفعال الكلاميَّة ـ «**وقد ظهر الاهتمامُ بالحِجاج في السنوات الثمانين من القرن العشرين.ومن المهتمين بدراسة الحِجَاج العالمان أوزفالد دبكرون وجان كلود إنسكومبير**».(٣١)

لكن ما دَوْرُ العدد في هذه الزاوية من التداوليَّة؟ يتَّكِئُ المُتَحدِّث في خطابه الحِجَاجِيّ على العدد لتدعيم حُجَجِه وتقوية أدِلَّته،فكلما تحدَّث بالأرقام والإحصاءات الرسميَّة المُعتمدة زادت مصداقيته لدى المتلقِّي،وارتفعت نسبةُ نجاح حُجَجِه وأدلَّته وبراهِينه.

ونَمُوذجُنا التطبيقيُّ في هذه المرحلة الأخيرة من المقاربة هو العدد (**٩٩,٩٩**)؛إذ ترتكز عليه مصانع صناعة الاستبداد في بعض الأنظمة؛لإنتاج كِيانات كرتونيَّة واستفتاءات دراميَّةٍ؛لتسويد الخانات الفارغة في استمارة الدَّجل السياسيّ المُصدَّر للداخل والخارج. وذلك لما يتمتَّع به هذا العدد من قوَّة إقناعيَّة لدى المخاطَب العربيّ القابع في خنادق إعلام تغييب العقول. يكتسب العدد ٩٩% مساحاته الإقناعيَّة المُنْجِزَة أكثر في البيئات المُلَوثَّة بخطابات مشاريع الوهم القوميَّة المصحوبة بخطابات الحروب المستمرة.

إنَّ ٩٩% هي أساس بناء الدول (الحديثة)؛فلن تَعْدَمَها ـ إذن ـ في استفتاءٍ على وثيقة دستورية مُشوَّهة أو في انتخاب قوائم الأحزاب المصنوعة في المَقَرَّات الأمنيَّة. يقول «مطر» وقد ساق أدلَّته الحِجَاجِيَّة على بذاءة (٩٩,٩٩%) وفراغها من أيّ قيمة محترمة:

«أَحْضِرْ سَلَّةْ

ضَعْ فِيهَا أَرْبَعَ تِسْعَاتٍ

ضَعْ صُحُفًا مُنْحَلَّةْ

ضَعْ مِذْيَاعًا

ضَعْ بُوقًا،ضَعْ طَبْلَةْ

ضَعْ شَمْعًا أَحْمَرَ

ضَعْ حَبْلًا

ضَعْ سِكِّينًا

ضَعْ قُفْلًا .. وَتَذَكَّرْ قَفْلَهْ

ضَعْ كَلْبًا يَعْقِرُ بِالجُمْلَةْ

يَسْبِقُ ظِلَّهْ

يَلْمَحُ حَتَّىٰ اللَّا أَشْيَاءْ

وَيَسْمَعُ ضَحِكَ النَّمْلَةْ

وَاخْلُطْ هَـٰذَا كُلَّهْ

وَتَأَكَّدْ مِنْ غَلْقِ السَّلَّةْ

ثُمَّ اسْحَبْ كُرْسِيًّا وَاقْعُدْ

فَقَلَدْ صَارَ عِنْدَكَ دَوْلَةْ ». (٣٢)

ينشأُ مشروعُ الدولة (الحديثة) بَدْءًا من العدد (٩) المجتمع مع نظرائه (٩٩,٩٩ %)؛إمعانًا في إقناع المواطن البسيط المُنْسَحِق تحت مُجَنْزَرَات الكذبِ الإعلاميّ المُمَنْهج. بعد ذلك يأتي دور إعلام السلطة،القاذف بكلِّ البراميل المتفجِّرة من البذاءة والقبح في وجه كلِّ من تُسَوِّلُ له نفسه للطعنِ على نتيجة هذه الانتخابات أو الاستفتاءات.فإذا ما انتهى دور الإعلام بصُحُفِه ومذياعِه وأدبائه صُنَّاع التَّبرير والتسويغ ،يأتي دور الممارسة السلطويَّة المتمثِّلَة إشاريًّا فيما يلي:

. **الشمع الأحمر =** الإغلاق القَسْرِيّ.

. **الحبل =** المشانق.

. **السِّكِّين=** القتل.

. **القُفْل=** الإغلاق.

. **الكلاب=** الممارسات الأمنية.

وقد تَأتَّتْ كلُّ هذه الممارسات إثْرَ تمكين الأربع تِسعاتٍ (٩٩,٩٩%) السَّابحة في مستنقعات الدَّم والتزوير والتدليس على الشعوب.

إنَّ الأربعَ تسعاتٍ (٩٩,٩٩%) قادرةٌ على تحويل أيّ مجتمع من وطن الشفافيَّة والصدق والحقّ إلى وطن تدمير خلايا العقل واستئصال غُدَدِ التفكير،وطن الهلوسةِ المُقَدَّمة على الشاشات الأرضيَّة والفضائيَّة من خبراء إستراتيجيِّين مُستحضَرينَ من مخازن التاريخ، ومن خبيراتٍ في علم النَّفْسِ التِّلْيفزيونيِّ يُحَلِّلْنَ لفتةَ جِيدٍ أو إشارةَ يدٍ أو دلالةَ تصفيقٍ مُتَمَلِّق.

يقول«مطر» بعد أن ساق براهينَه في بذاءة مشروعِ الـ(٩٩,٩٩%) :

«وَسْطَ مَزَابِلِ الرُّتَبْ

أَشِرْ لِوَاحِدٍ، وَقُلْ:

هَـٰذَا الِحمَارُ مُنْتَخَبْ

وَبَعْدَمَا تُقْنِعَنِي

ـ بِغَيْرِ تِسْعَاتِ النِّسَبْ ـ

تَعَالَ عَلِّمْنِي الْأَدَبْ ». (٣٣)

لقد أصبحت تِسعاتُ النِّسَب (٩٩,٩٩ %)ـ من كثرةِ ما تكرَّرت،ولكثرة ما شُوهدت بوصفها نتائج شعبية ـ رمزًا لابتذال كلِ قِيَمِ المصداقية والشَّفافيَّة والنَّزَاهة والحقّ،واغتيالا لكل قيمة مُحترمَةٍ سادت المجتمعِ في يومٍ مَا.

إنَّ تسعاتِ النِّسَب (٩٩,٩٩ %) قادرةٌ على إنتاج كل قِيَمِ الانحطاط الأخلاقي،وكل آليَّاتِ التَّمْكين للرَّداءة والقبح مشروعًا وطنيًّا. (إنَّ٩٩,٩٩ %) جريمةٌ (**سِيَا أخلاقيَّة**) مكتملة الأركان تظلُّ أجيالٌ عريضةٌ تدفع ثمنها بلا ذنب.

ويظل للعدد قوته الحجاجية الصامتة البليغة في الخطاب البَصَريّ الساخر عند «ناجي»:

حيث تصور لوحة ١٠٤٥٢الثالثة (٣٤) طرفي قضية النزاع؛فصاحبُ الأرض يتمسَّك بكامل المساحة الجغرافية لوطنِه (=لبنان)،متعاليا على الجلوس على طاولة المفاوضات مع المحتل،يستمسك بحقه كاملا مهما تعرض لآليات القمع و(تكسير) الأقدام التي ترتبط ارتباطا مكانيًّا بالأرض. في إشارة سيميائية شديدة الاختزال والبلاغة ترسل رسالةً مفادها:إن تكسرت الأقدام فلن تترك الأرض،وستبقى أبدًا مرفوعة في وجوه المحتل وأعوانه المحليين.

❁❁❁

الخاتمة:

سعت هذه المقاربةُ نحو الكشف عن دور العدد ـ حال كونه مفردةً لُغويَّةً أو رمزًا حسابيًّا ـ في الخطابَيْن:اللِّسانيّ والبَصَريّ السَّاخر (الكاريكاتير) على حدٍّ سواءٍ؛ مُنَبِّهَةً على دوره في إنتاج الدلالة المرجُوَّة من الخطابِ؛ناظرةً إليه على أنه أيقونةٌ إشاريَّةٌ يَهْدف المُبدعُ من استعمالِها إلى تحقيق أقصى طاقات الاختزال والتصفية المُتَعَمَّدة من التَّرَهُّلاتِ الصِّياغيَّةِ وكِليشِيهاتِ المقدِّمات. كما كشفت المقاربة عن قدرة العدد في إنجاز الخطاب ـ بنوعيه ـ إنجازًا بليغًا مُحقِّقًا أقصى درجات الإقناع لدى المتلقي؛ حيث يتمتَّع العدد بقدرات هائلة من تركيز وتكثيف للدلالة،تحول ـ بدورها ـ دون تشتيت المتلقي عن الهدف الرئيس من الخطاب.

وقد ناقشت المقاربة أربعة مظاهر تجلت فيها إنجازية العدد؛ فجاء أولها لبيان دور العدد في الإيجاز البلاغيّ،وفي ثانيها رصدت المقاربة دور العدد في المبالغة الصياغية والمرئية، وفي ثالثها وضحت المقاربة ما يثيره العدد من دلالات سلبية لدى الذات المبدعة،وذلك

عندما يرتبط بتاريخ معين من تآريخ انتكاسات العرب. وفي المظهر الرابع أظهرت المقاربة قدرة العدد الحجاجية،وبخاصة عندما يتحول الخطاب الإبداعيّ (نصًّا وصورة) عريضة احتجاج على خطابات السلطة.

❁❁❁

الهوامش والإحالات:

(١) **مسعود صحراويّ (٢٠٠٥)**:التداوليَّة عند العرب.دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ، ط. ١،بيروت، دار الطليعة،ص ٥.

وعن التعريفات المتعددة للتداولية وأساسها الإبستمولوجيّ ومجال تطبيقاتها ينظر المراجع التالية:

ـ **آن روبول وجاك موشلار Anne RuPaul and Jacques Mauschlar (٢٠٠٣)**:التداوليَّة اليوم.علمٌ جديدٌ في التواصُل.ترجمة د.سيف الدين دغفوس ود.محمَّد الشيبانيّ ،ط.١،بيروت، ط. المنظمة العربيَّة للترجمة، ص ٢٨ .

ـ **د.بشرى البستانيّ(٢٠١٢)**:التداولية من كينونة اللغة الصورية إلى آفاق التواصُل،مجلّة (لأنّ)للدراسات التداوليّة في اللغة والنقد،ط.١، لندن،مؤسّسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع،ص ١٢.

ـ **الجيلالي دلاش Gilali Dalash (د.ت)**:مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترجمة محمد يحياتن،ط. ١، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، ص ٤٣.

ـ **فليب بلانشيه Philip Blanche (٢٠٠٧)**:التداولية من أوستين إلى غوفمان،ترجمة صابر الحباشة،ط.٧،سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع،ص ١٩.

ـ **د.ميجان الرويليّ.د.سعد البازعيّ(٢٠٠٢)**:دليل الناقد الأدبيّ،ط. ،ط.٣،المغرب، المركز الثقافيّ العربيّ ،ص١٦٧.

(٢) ينظر:**إبراهيم جابر عليّ (٢٠١٥)**:المعجم الشعريّ،بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعريّ «**بُلَنْد الحَيْدَرِيّ**» نموذجا،ط.١،الأردنّ، مؤسسة أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٠.

(٣)**ابن منظور(جمال الدين بن محمَّد.ت٧١١هـ)**،**(د.ت)**:لسان العرب،تحقيق عبد الله عليّ الكبير ومحمَّد أحمد حسب الله وهاشم محمَّد الشاذليّ،ط.١، مصر،دار المعارف ،(و ج ز)،(٦/٤٧٧١ ،٤٧٧٢).

(٤) ينظر: **السابق**،(٦/٤٣٥١).

(٥) ينظر: **السابق**،(٦/٤٣٥٢).

(٦) ينظر: **د.إبراهيم أنيس(١٩٧٨)**:من أسرار اللغة،ط.٦ ، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية ،ص ٢٩٣.

(٧) **أحمد مطر (٢٠١١)**:الأعمالُ الشِّعريةُ الكاملةُ،ط.١،بيروت،دار العروبة، ص ٩١ .

(٨) **بُلَنْد الحَيْدَرِيّ (١٩٩٢)**:الأعمالُ الشعريَّةُ الكاملةُ،ط.٢،الكويت،دار سعاد الصباح،الكويت،ص ٧٧٢.

(٩) **ناجي العليّ**: الخلافاتُ العربيَّةُ،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

(١٠) **ناجي العليّ**: «١٠٤٥٢ / ١»،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

(١١)**ناجي العليّ**: «١٠٤٥٢/ ٢ »،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

(١٢) **ينظر:عباس حسن (د.ت)**:النحو الوافي،ط.٣،مصر،دار المعارف،(٥١٧/٤).

(١٣) **بُلَنْد الحَيْدَرِيّ**: الأعمال الشعرية الكاملة،ص ٣١٢ .

(١٤) **أحمد مطر**:الأعمال الشعرية الكاملة،ص ٦٦.

(١٥) **ناجي العليّ**: «التضامن العربيّ» ،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

(١٦) **مريد البرغوثيّ(٢٠١٣)**:الأعمال الشعرية الكاملة،ط. ١، القاهرة ،دار الشروق، (٢/ ١٤٨).

(١٧) **ناجي العليّ**: «كامل التراب الفِلَسْطِينيّ» ،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

(١٨) **إدوارد سعيد(٢٠٠٠)**:خارج المكان،ترجمة فوَّاز طَرَابُلْسِيّ،ط.١، بيروت،دار الآداب، ص ٩.

(١٩) **ينظر:السابق**،ص ٣٥٦.

(٢٠)**مُرِيد البرغُوثيّ(٢٠١٣)**:رأيت رام الله،ط.٣، القاهرة،دار الشروق، ص ١٦.

(٢١)**إدوارد سعيد**:خارج المكان،ص ٣٢٨.

(٢٢)**مُرِيد البرغُوثيّ**:رأيت رام الله،ص ٢٤٩.

(٢٣)**ينظر: السابق**،ص ٢٥١.

(٢٤)**ينظر: السابق**،ص ١٥.

(٢٥) **ينظر: السابق**،ص ٢٤٩.

(٢٦)**مُريد البرغوثيّ (٢٠١١)**:وُلِدْتُ هُنَاكَ وُلِدْتُ هُنَا،ط.٢، بيروت،دار رياض الريس،ص ١٩٩ .

(٢٧)**مُريد البرغوثيّ**:تغريد على صفحته الرسمية بموقع (تويتر)،٣ / ٨ / ٢٠١٤.

(٢٨)**أحمد مطر**:الأعمال الشعرية الكاملة،ص ١٨٣.

(٢٩)**السابق**، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩.

(٣٠)ينظر:**د.أبو بكر العزَّاويّ(٢٠٠٦)**:اللغةُ والحِجاجُ،ط.١، المغرب،العُمدة للطباعة والنشر،ص ١٦ .

وينظر:**صابر الحباشة(٢٠٠٨)**:التداوليَّة والحِجاجُ.مداخلُ ونصوصٌ،ط.١،سوريا،صفحات للدراسات، ص ٢١.

(٣١) **ورقاء يحيىٰ قاسم(٢٠١٢)**:الحِجاج في الخطاب الشعريِّ الحديث.قصيدة«**لا تُصَالِحْ**»نموذجًا،مجلّة (لأنّ) للدراسات التداولية في اللغة والنقد،ط.١،لندن،ط. مؤسّسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع،ص ٣٦٣ .

(٣٢)**أحمد مطر**:الأعمال الشعرية الكاملة،ص ٧٣.

(٣٣)**السابق**، ص ٢٥٠.

(٣٤) **ناجي العليّ**: « ١٠٤٥٢ / ٣»،كتاب: لوحات ناجي العليّ، على الرابط:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

❁❁❁

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

أ . المصادر اللغوية

ابن منظور(جمال الدين بن محمَّد.ت٧١١هـ)،(د.ت):

١. لسان العرب،تحقيق عبد الله عليّ الكبير ومحمَّد أحمد حسب الله وهاشم محمَّد الشاذليّ،ط.١، مصر،دار المعارف .

ب . المصادر الإبداعية

أحمد مطر (٢٠١١):

٢. الأعمالُ الشِّعريةُ الكاملةُ،ط.١،بيروت،دار العروبة.

إدوارد سعيد(٢٠٠٠):

٣. خارج المكان،ترجمة فوَّاز طَرَابُلْسِيّ،ط.١، بيروت،دار الآداب.

بُلَنْد الحَيْدَرِيّ (١٩٩٢):

٤. الأعمالُ الشعريَّةُ الكاملةُ،ط.٢،الكويت،دار سعاد الصباح.

مريد البرغوثيّ (٢٠١٣):

٥. الأعمال الشعرية الكاملة،ط. ١، القاهرة ،دار الشروق.

٦- رأيت رام الله،ط.٣، القاهرة،دار الشروق.

مريد البرغوثيّ (٢٠١١):

٧- وُلِدْتُ هُنَاكَ وُلِدْتُ هُنَا،ط.٢، بيروت،دار رياض الريس.

مريد البرغوثيّ (٢٠١٤):

٨- الصفحة الرسمية بموقع (تويتر)، تغريدٌ بتاريخ:٣ / ٨ / ٢٠١٤.

- ناجي العليّ:

٩ - لوحات ناجي العليّ:

https://www.goodreads.com/ebooks/download/14623253

ثانيا: المراجع العربية:

د.إبراهيم أنيس(١٩٧٨):

١٠ . من أسرار اللغة،ط.٦،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية .

د.إبراهيم جابر عليّ (٢٠١٥):

١١. المعجم الشعريّ،بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعريّ «بُلَنْد الحَيْدَرِيّ» نموذجا،ط.١،الأردنّ، مؤسسة أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.

د.أبو بكر العزَّاويّ (٢٠٠٦):

١٢ . اللغةُ والحِجاجُ،ط.١،المغرب،العُمدة للطباعة والنشر.

صابر الحباشة(٢٠٠٨):

١٣ . التداوليَّة والحِجاجُ.مداخلُ ونصوصٌ،ط.١،سوريا،صفحات للدراسات والنشر.

عباس حسن (د.ت):

١٤ . النحو الوافي،ط.٣،مصر،دار المعارف.

مسعود صحراويّ (٢٠٠٥):

١٥ ـ التداوليَّة عند العرب.دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ، ط. ١،بيروت، دار الطليعة.

ـ د.ميجان الرويليّ.د.سعد البازعيّ(٢٠٠٢):

١٦ . دليل الناقد الأدبيّ،ط. ،ط.٣،المغرب، المركز الثقافيّ العربيّ .

ثالثا: المراجع المترجمة

آن روبول وجاك موشلار Anne RuPaul and Jacques Mauschlar (٢٠٠٣):

١٧ . التداوليَّة اليوم.علمٌ جديدٌ في التواصُل.ترجمة د.سيف الدين دغفوس ود.محمَّد الشيبانيّ ،ط.١،بيروت، ط. المنظمة العربيَّة للترجمة.

ـ الجيلالي دلاش (Gilali Dalash):

١٨. مدخلٌ إلى اللّسانيَّات التداوليَّة،ترجمة محمَّد يحياتن،ط.ديوان المطبوعات الجامعيَّة،الجزائر (د.ت).

الجيلالي دلاش Gilali Dalash (د.ت):

١٩. مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترجمة محمد يحياتن،ط. ١،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعيَّة.

فليب بلانشيه Philip Blanche (٢٠٠٧):

٢٠ . التداولية من أوستين إلى غوفمان،ترجمة صابر الحباشة،ط.٧،سورية،دار الحوار للنشر والتوزيع.

رابعا: الدوريات العربية

ـ د.بشرى البستانيّ(٢٠١٢):

٢١ . التداولية من كينونة اللغة الصورية إلى آفاق التواصُل،مجلّة (لأنّ)للدراسات التداوليّة في اللغة والنقد،ط.١، لندن،مؤسّسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع.

ورقاء يحيىٰ قاسم(٢٠١٢):

٢٢ . الحِجاج في الخطاب الشعريِّ الحديث.قصيدة«لا تُصَالِحْ»نموذجًا،مجلّة (لأنّ) للدراسات التداولية في اللغة والنقد، ط.١، لندن ،ط. مؤسّسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع.